محاضرة (01): حول مصادر تاريخ المغرب والأندلس ومسمياته وتقسيماته

1- بدايات الكتابة التاريخية (2-4ه/8-10م):

إن أولى الكتابات التاريخية عن بلاد المغرب والأندلس بدأت من مصر من القرن الثاني إلي القرن الرابع الهجري ويرجع عوامل ذلك لموقع الجغرافي حيث كانت القاعدة العسكرية الكبرى والتي منها انطلقت جميع العمليات الحربية إلى بلاد المغرب والأندلس ، إذ كانت تمر عبرها جيوش الفتح والجنود العائدون إلى أوطانهم لذا أصبحت مصر مركزاً لأخبار المغرب والأندلس وأغلبها كانت سماعية يرويها أولئك الجنود العائدون وهم ينقلون ما شاهدوه في تلك البلاد من عجائب .ثم أخذت هذه الأخبار السماعية تتناقل في المجالس الأدبية والدينية ، وأشتغل بها فيما بعد الفقهاء والمحدثون المصريون أمثال: عبد الله بن لهيعة (المتوفى سنة 174 ه)- ، والليث بن سعد (المتوفى سنة 175 ه)- ، وهذا يدل على أن المصريين كانوا أول من وضع الأسس لكتابة تاريخ بلاد المغرب والأندلس واستمروا في كتابته إلى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، ثم أخذ أثرهم يضعف وتتضاءل ليفسح المجال لمغاربة والأندلسيين ليدلوا بدلهم بعد ذلك.

2- استمرار وازدهار الكتابة في بلاد المغرب والأندلس(5-8ه/11-14م):

وبدء من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي أخذت الكتابات التاريخية تتعاظم نتيجة نمو وازدهار ثقافة الجناح الغربي للدولة العربية الإسلامية فتولى المثقفون فيه الكتابة عن تاريخ بلادهم بأسلوب يتفق والظروف السياسية التي كانت تعيشها لذلك جاءت كتاباتهم متنوعة بأساليبها ومناهجها ، فمثلاً وصف مؤرخو القرن الخامس الهجري بأسلوبهم الكتابي، والذي تميز بالنقد للظروف السياسية التي كانت تعيشها بلاد المغرب، والتي أفقدت البلاد وحدتها الوطنية فتحولت إلى إمارات وحكومات متخاصمة، ومتناحرة فيما بينها ومن أبرزهم ابن حزم (المتوفى سنة 456 هـ)، وابن حيان (المتوفى سنة 469- هـ/1076م) . في حين تميز المنهج الكتابي لمؤرخي القرن الثامن الهجري بمحاولة التعرف على علل الحوادث وأسباب قيام الدول وأسباب سقوطها ومظاهر العمران فيها ، ومن أبرز مؤرخي هذا القرن لسان الدين ابن الخطيب (المتوفى سنة 776 هـ/1374م)، وابن خلدون (المتوفى سنة 808 ه/1405م)- . ولم تقتصر كتابات مؤرخي هذا القرن على الروايات الإخبارية بل تطورت إلى الاهتمام بالشؤون العامة وتعليل الحوادث.

3- مجموعة من أهم المصادر الأولية التي اهتمت بتاريخ بلاد المغرب والأندلس

أ-عبد الرحمن بن عبد الحكم(ت257ه/870م) – فتوح مصر والمغرب والأندلس، يعتبر ابن عبد الحكم من معاصري البلاذري والطبري، وتميز كتابه بخلوه من الخرافات والأساطير ، وقد عاش ابن عبد الحكم في مدينة الفسطاط(القاهرة حاليا) .

ب-أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني (ت417ه/1026م)-تاريخ افريقية والمغرب، ويبدأ هذا الكتاب بعمليات تحرير العرب المسلمين لبلاد المغرب وفتحهم لبلاد الأندلس حتى أوائل القرن الخامس الهجري، وبذلك تناول هذا الكتاب عصر الولاة الأمويين والعباسيين في افريقية، وقد تضمن الكتاب تفصيلات دقيقة لتلك البلاد وشؤونها.

ج-ابن حيان القرطبي(469ه/1076م) –كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس، يعد ابن حيان القرطبي من أعظم المؤرخين المسلمين فهو بمنزلة الطبري في المشرق العربي، وامتازت رواياته بالصحة والدقة والمرونة ، واقتبس المادة التاريخية للحقبة التي سبقت عصره من مؤرخين سبقوه لذلك سمي كتابه بالمقتبس.

د-ابن عذاري المراكشي(ت بعد سنة712ه/1312م) –البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب يتناول هذا الكتاب تاريخ المغرب والأندلس من الفتح الإسلامي حتى بداية عصر بني مرين أ ويعد الكتاب من أهم مصادر تاريخ المغرب والأندلس ،وقد اعتمد ابن عذاري في كتابه على مصادر مغربية وأندلسية ومشرقية ترجع إلى القرنين الخامس والسادس الهجريين.

ه-عبد الرحمن بن خلدون(ت808ه/1406م)-كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحتل مقدمة هذا الكتاب مكانة خاصة في تاريخ الدولة العربية الإسلامية بين المؤلفات، وذلك لان ابن خلدون لم يعتمد فيها على سرد الأحداث التاريخية المجردة كسابقيه من المؤرخين، وإنما فلسف ظروف المجتمع العربي منذ نشأته وتبع تطوره ونظامه في الإسلام مما جعل مقدمته تمثل مرحلة حاسمة في تطور منهج علم التاريخ.

و-ابن الأبّار القضاعي البلنسي(ت658ه/1260م)-الحلة السيراء ومعنى هذا الكتاب اللغوي هو الثوب المخطط كناية على ما يتضمنه من أدب وشعر وتاريخ، وقد تناول ابن الأبّار في هذا الكتاب أخبار المغرب والأندلس منذ الفتح العربي الإسلامي حتى منتصف القرن 7ه/13م.

ز-عبد الواحد المراكشي(ت620ه/1224م)-المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وهذا الكتاب له قيمته العلمية والأدبية والتاريخية ولاسيما فيما يتعلق بالموحدين لأنه كتب بقلم رجل معاصر لهم.

ح-الطبري(ت310ه/923م)-تاريخ الرسل والملوك تناول فيه مؤلفه الحوادث حسب السنين فيما يتعلق ببلاد المغرب والأندلس فقد الطبري لنا عمليات تحرير العرب المسلمين لبلاد المغرب وفتهم الأندلس واهم الأحداث التي شهدتها تلك البلاد فيما بعد.

ط-ابن الأثير(630ه/1234م)-الكامل في التاريخ تناول ابن الأثير في مؤلفه هذا عمليات تحرير العرب المسلمين لبلاد المغرب وفتهم الأندلس واهم الأحداث التي شهدتها تلك البلاد فيما بعد.

ي-ابن الخطيب الغرناطي(776ه/1374م)-الإحاطة في تاريخ غرناطة، ألف ابن الخطيب كتابه على غرار من سبقه من مؤرخي المشرق أمثال ابن عبد الحكم في تاريخ مصر والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد وابن عساكر في تاريخ دمشق
ك-ابن الفرضي (403ه/1013م)-تاريخ علماء الأندلس يعد الكتاب عبارة عن تراجم لعلماء الأندلس حيت عصر المؤلف حيث تناول فيه أخبارهم وأثارهم وسيرهم وبلدانهم وأنسابهم ومواليدهم ووفياتهم .
ل-ابن بشكوال(577ه/1182م)-الصلة في تاريخ علماء الأندلس جاء الكتاب هذا تكملة لتاريخ علماء الأندلس الذي ألفه ابن الفرضي في طبقة علماء القرن الخامس الهجري.

4- بلاد المغرب قبل وبعد الفتح العربي الإسلامي:

أولا- التعريف ببلاد المغرب: ماهو المغرب؟

المقصود ببلاد المغرب هو كل ما يقابل المشرق من بلاد، وقد اصطلح معظم الجغرافيين والمؤرخين على تسمية المناطق التي تمتد من حدود مصر الغربية وحتى سواحل بحر المحيط أو بحر الظلمات- المحيط الأطلسي أو الأطلنطي- باسم المغرب.وهكذا فبلاد المغرب تتضمن البلاد الليبية الحالية بولايتها الثلاث(برقة وطرابلس وفزان) وتونس والجزائر المغرب الأقصى الذي يعرف باسم مراكش، ويمتد طبيعيا نحو الجنوب إلى حدود السنغال والنيجر ليشمل موريتانيا الحالية، وقد استخدم الكُتاب أيضا لفظة إفريقية، والتي كانت تختلط أحيانا بالمفهوم الكلي لمصطلح المغرب،لكن لفظة افريقية اقتصر مدلولها أخيرا على الإقليم الذي تتوسطه القيروان وحدوده من غرب طرابلس حتى بجاية أي كل المنطقة التي تقع ضمن تونس وشرق الجزائر الحالية ،أما لفظة المغرب فهي تشمل عموم أقاليم البلاد و حدوده من غرب مصر حتى المحيط الأطلسي بما فيه افريقية وقد اختلف الجغرافيون و المؤرخون المسلمون في تحديد مناطق المغرب العربي فجعله بعضهم يضم شمال القارة الإفريقية فضلا عن اسبانيا الإسلامية و جميع الممتلكات الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط مثل صقلية و جنوب ايطاليا و جزيرتي سردانية و كورسيكا وجزر البليار أو الجزر الشرقية وهي ميورقة و منورقة و اليابسة كما ذهب فريق آخر من مؤرخي و بلداني العصور الوسطى الى أن مصر أيضا ضمن مجموعة البلاد المغربية لكونها القاعدة السياسية و العسكرية و الثقافية لهذه المنطقة الغربية في الحقبة الإسلامية الأولى , و ما يؤيد ذلك ما يرويه المؤرخ ابن عذاري صاحب كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب من أن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك قلد الوالي عبد الله بن الحبحاب ولاية مصر و المغرب و الأندلس , و في العصر العباسي اتسع مدلول المغرب ليشمل الشام أيضا حيث يرى المسعودي صاحب كتاب مروج الذهب و معادن الجوهر أن العباسيين قسموا دولتهم الى قسمين وهما المغرب و شمل الشام و مصر و افريقية و ما يليها غربا , و المشرق و يشمل بلاد فارس و ما يليها شرقا و على هذا الأساس قسم الخليفة هارون الرشيد دولته على أبنائه الأمين و المأمون .

ثانيا : أقسام بلاد المغرب:
يمكن تقسيم بلاد المغرب العربي الى أربعة أقسام بحسب القرن أو البعد عن مركز الخلافة في المشرق إداريا و هذه الأقسام الأربعة هي :
أ-برقة و طرابلس :وهما أول أقاليم المغرب و هناك من يدخل هذين الإقليمين ضمن المغرب الأدنى أو يفصلهما عنه .
ب-المغرب الأدنى(افريقية): و يمتد من طرابلس حتى بجاية غربا و قاعدته مدينة القيروان , و شهد ثلاث عواصم في العصور الوسطى هي القيروان أيام الأغالبة و المهدية أيام العبيدين و تونس منذ عهد الحفصيين الى اليوم .
ج-المغرب الأوسط: وسمى بالأوسط لتوسطه المغربين الأدنى و الأقصى و شمل المنطقة الممتدة من مدينة بجاية حتى وادي ملوية و جبال تازة في الغرب، و قاعدته مدينة تلمسان , و هو يضم معظم بلاد الجزائر الحالية الى حدود السودان , أما أهم عواصمه في العصور الوسطى فهي مدينة تاهرت في عهد الدولة الرستمية , و مدينة أشير في عهد الدولة الزيرية الصنهاجية التي خلفت العبيديين في حكم المغرب و مدينة تلمسان في عهد دولة بني عبد الواد أو بني زيان في القرن السابع للهجري/...م ثم مدينة الجزائر و هي العاصمة حتى اليوم .
د-المغرب الأقصى: ويمتد من وادي ملوية حتى مدينة أسفي على ساحل المحيط الأطلسي و يشمل المغرب الحالي و موريطانيا , و يمتد طبيعيا نحو الجنوب الى حدود السنغال و النيجر. و عاصمة المغرب الأقصى تناوبت بين مدينتي فاس ومراكش فالادارسة العلويون أسسوا مدينة فاس سنة 191ه/806م و اتخذوها عاصمتا لهم , ثم جاء المرابطون وبنوا مدينة مراكش سنة 463ه/1070م و اتخذوها عاصمتا لهم ثم تبعهم الموحدون في اتخاذ مراكش عاصمة أما بنو مرين في القرن السابع الهجري فاتخذوا مدينة فاس قاعدة لهم وتبعهم في ذلك بنو وطاس في القرن التاسع للهجري/.... الى أن جاء السعديون في القرن العاشر و نقلوا عاصمتهم الى مراكش أما مدينة الرباط التي بنيت في عهد الخليفة يعقوب المنصور الموحدي في القرن السادس الهجري والتي كانت تسمى برباط الفتح لأنها كانت رباطا على أعداء الإسلام من قبائل برغواطة ولم تتخذ عاصمة إلا سنة 1912م حين اختارها الجنرال ليبوتيه أيام الاحتلال الفرنسي ليكون مركزا إداريا للمغرب و ظلت عاصمة البلاد سياسيا حتى الآن.
و في الحقيقة أن هذه التقسيمات لبلاد المغرب ليس لها أساسا جغرافيا لأن بلاد المغرب من حدود مصر الى المحيط الأطلسي تمثل وحدة البلاد المتماسكة بخصائصها الجغرافية و الطبيعية و البشرية، و هي بذلك تشكل وحدة إقليمية واحدة على الرغم من سعة مساحتها و تضاريسها المتنوعة إلا أن الضرورة السياسية و الإدارية هي التي أوجبت هذه التقسيمات الاصطلاحية.